

تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخبرا عن وصية لقمان لولده وهو لقمان بن عنقاء بن سدون واسم ابنه ثاران في قول حكاه السهيلي وقد ذكره [] تعالى بأحسن الذكر وأنه آتاه الحكمة وهو يوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف ولهذا أوصاه أولا بأن يعبد [] ولا يشرك به شيئا ثم قال محذرا له { إن الشرك لظلم عظيم } أي هو أعظم الظلم قال البخاري : حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد [] قال : لما نزلت { الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم } شق ذلك على أصحاب رسول [] صلى [] عليه وسلّم وقالوا : أينما لم يلبس إيمانه بظلم ؟ فقال رسول [] صلى [] عليه وسلّم [] إنه ليس بذاك ألا تسمع إلى قول لقمان { يا بني لا تشرك با [] إن الشرك لظلم عظيم } [] ورواه مسلم من حديث الأعمش به ثم قرن بوصيته إياه بعبادة [] وحده البر بالوالدين كما قال تعالى : { وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا } وكثيرا ما يقرن تعالى بين ذلك في القرآن وقال ههنا { ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن } قال مجاهد : مشقة وهن الولد وقال قتادة جهدا على جهد وقال عطاء الخراساني ضعفا على ضعف .

وقوله { وفصاله في عامين } أي تربيته وإرضاعه بعد وضعه في عامين كما قال تعالى : { والوالدان يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة } الآية ومن ههنا استنبط ابن عباس وغيره من الأئمة أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأنه قال في الآية الأخرى { وحمله وفصاله ثلاثون شهرا } وإنما يذكر تعالى تربية الوالدة وتعبها ومشقتها في سهرها ليلا ونهارا ليذكر الولد بإحسانها المتقدم إليه كما قال تعالى : { وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا } ولهذا قال { أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير } أي فإني سأجزيك على ذلك أوفر جزاء .

قال ابن حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد [] بن أبي شيبه ومحمود بن غيلان قالا : حدثنا عبيد [] أخبرنا إسرائيل عن أبي اسحاق عن سعيد بن وهب قال : قدم علينا معاذ بن جبل وكان بعثه النبي صلى [] عليه وسلّم فقام فحمد [] وأثنى عليه ثم قال : إني رسول رسول [] صلى [] عليه وسلّم إليكم أن تعبدوا [] ولا تشركوا به شيئا وأن تطيعوني لا آلوكم خيرا وإن المصير إلى [] إلى الجنة أو إلى النار إقامة فلا طعن وخلود فلا موت .

وقوله { وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما } أي إن حرصا عليك كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما فلا تقبل منهما ذلك ولا يمنعك ذلك من أن تصاحبهما في الدنيا معروفا أي محسنا إليهما { واتبع سبيل من أناب إلي } يعني المؤمنين { إلي

مرجعكم فأنبيئكم بما كنتم تعملون { قال الطبراني في كتاب العشرة : حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أحمد بن أيوب بن راشد حدثنا مسلمة بن علقمة عن داود بن أبي هند أن سعد بن مالك قال : أنزلت في هذه الآية { وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما { الآية قال : كنت رجلا برا بأمي فلما أسلمت قالت : يا سعد ما هذا الذي أراك قد أحدثت لتدعن دينك هذا أو لا آكل و لا أشرب حتى أموت فتعير بي فيقال : يا قاتل أمه فقلت : لا تفعلني يا أمه فإني لا أدع ديني هذا لشيء فمكثت يوما وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت مكثت يوما وليلة أخرى لا تأكل فأصبحت قد اشتد جهدها فلما رأيت ذلك قلت : يا أمه تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني هذا لشيء فإن شئت فكلي وإن شئت لا تأكلي فأكلت